

المشكلة الجزئية الأولى : في الإحساس والإدراك
العنصر : عوامل الإدراك

السؤال : هل يعود الإدراك إلى نظام الأشياء أم إلى التجربة الحسية ؟

المقدمة : معروفة عن الإنسان أنه كائن حيوي يمتلك مجموعة من الوظائف والقدرات التي تمكنه من الحفاظ على بقائه واستمراره وتعينه على التكيف مع محبيطه ومن هذه القدرات نجد قدرة الإدراك والإدراك هو عملية عقلية عليها معقدة يتم فيها تفسير وتأويل وترجمة المؤشرات الحسية التي تنقلها الحواس إلى المراكز العصبية وبهذا يتعرف الإنسان على ما يحيط به ولما كان الإدراك ليس من طبيعة واحدة (بمعنى أنه يختلف من فرد إلى آخر) فإن البحث عن العوامل المتحكمة فيه قد كان محور اهتمام العديد من المفكرين وال فلاسفة خاصة أصحاب المذهبين الجسطالي والتجريبي إذ يعتقد أنصار المذهب الأول بأن نظام الأشياء هو المصدر الوحيد الذي يبني عليه الإدراك ، في حين يشكك أنصار المذهب الثاني في هذه الحقيقة ويعتبرون أن الإحساس و التجربة هما المصادران الوحيدان اللذان يبني علىهما الإدراك وفي ظل هذا الجدل القائم يثار التساؤل التالي : **هل إدراكنا للأشياء متوقف على نظام الأشياء أم على الإحساس والتجربة ؟**

العرض (محاولة حل المشكلة) :

1 - عرض منطق الأطروحة : يعتقد أنصار المدرسة الجسطالية وفي مقدمتهم كوفكا ، كوهلم و فرتهيمير والفيلسوف الفرنسي بول غيوم بأن إدراك الأشياء عملية موضوعية وليس وليد أحكام عقلية تصدرها الذات فطبيعة الشيء المدرك هي التي تحدد طبيعة إدراكنا أي أن إدراك الموضوع متوقف على طبيعته وبنيته وليس على الخبرة والعقل كما يتصور الذهنيون

و يستند أنصار هذا الاتجاه في تبرير موقفهم على الحجج التالية :

الحججة الأولى : إن الإدراك عند الجميع يمر بمراحل ثلاثة : إدراك إجمالي (صورة أولية غامضة) وإدراك تحليلي للعناصر الجزئية (إدراك العلاقات القائمة بين أجزاء الشيء المدرك) وإدراك تركيبي (ربط الأجزاء بالموضوع) وفي هذه العملية ندرك الشكل بأكمله ولا ندرك عناصره الجزئية فإذا شاهدنا الأمطار تسقط فنحن في هذه المشاهدة لا نجمع بذهننا الحركات الجزئية ل قطرات

الصغيرة التي تتألف منها الحركة الكلية بل أن الحركة الكلية هي التي تفرض نفسها علينا ، كذلك الشأن بالنسبة لسماع مقطوعة موسيقية فإننا ندركها كنفعة أساسية متصلة وليس أن تسمع الآلات الورتية أولا ثم تعقبها الآلات النفعية ثانيا ثم تليها الآلات الإيقاعية ثالثا ... إن الخ بل أنها كلها متداخلة في وحدة متميزة وعليه فالشخص يدرك الصيغة الكلية للشيء المدرك وبعد ذلك يأتي دور التفاصيل الجزئية التي لا بد لها أن تتكامل في هذا الكل والمقصود بالكل ليس مجموع العناصر التي يتتألف منها بل خصائصه العامة

الحججة الثانية : كما أن أنصار هذه النظرية رفضوا التمييز بين الإحساس والإدراك فلا وجود لإحساس خالص ولا إدراك مجرد فالإحساس والإدراك حسب بول غيوم يكون دفعه واحدة إذ يقول في هذا الصدد : ((ليس الإدراك تجمعاً للإحساسات بل

يتم دفعه واحدة)) وبذلك فإن الإدراك ليس إدراكاً لمجموعة من الإحساسات

المنظمة بواسطة العقل بل هو إدراك لمجموعة من العناصر المنظمة تنظيمياً

موضوعياً لأن العالم الذي ندركه ليس عالماً من الفوضى بل هو عالم منظم بفعل

قوانين موضوعية تسمى **بقوانين الانتظام** وهي التي تجعل الشخص يدرك

الموضوع كصيغة أو شكل وإنظام هذه البنية أو تفككها هو الذي يحدد نوع الإدراك

بل أن تبدلها مع تبدل الظرف الخارجي يؤدي إلى تبدل الموقف منها وأهم هذه

القوانين **نجد قانون الشكل والأرضية** فلكل شكل أو صورة في العالم الخارجي

أرضية أو خلفيّة فكلما كان الشكل مخالفًا للأرضية كان الإدراك أسهل ومثال ذلك

إدراك نقطة سوداء في خلفيّة بيضاء يكون أسهل بكثير من إدراك نقطة سوداء في

خلفيّة سوداء وهناك **قانون التشابه** فالموضوعات والأشياء المتشابهة في الشكل أو

الحجم أو اللون تكون سهلة الإدراك لأنها تشكل في مجموعةها كلاً موحداً مثال ذلك

أنه يسهل علينا إدراك مجموعة من الجنود أو رجال الشرطة لتشابهه الذي أكثر من

مجموعة من الرجال في السوق أو الشارع وهناك **قانون التقارب** فالموضوعات

والأشياء القريبة في الزمان والمكان تمثل إلى التجمع باذهاننا وتدرك بسهولة في

وحدة أو في شكل واحد فمثلاً النقاط المتقاربة من بعضها البعض تدرك خط مستقيم

وهناك **قانون الإغلاق** ونجد **قانون البروز** فكلما كانت الموضوعات والأشياء بارزة

سهل إدراكها على خلاف الموضوعات غير البارزة التي يصعب إدراكها مثل إدراك

سفينة على سطح البحر وهناك **قانون الشمولية** فالشكل المركب الذي يتتألف من

أشياء أخرى يدرك كصيغة واحدة أما أجزاءه فلا تدرك إلا بعد التمعن فمثلاً

النجمة السادسية عندما نمعن النظر فيها ماهي في حقيقة الأمر إلا مثنتين متقاطعين وهناك **قانون الوضوح والبساطة** فكلما كانت الموضوعات و الأشياء بسيطة وواضحة يسهل إدراكتها أما إذا كانت هذه الموضوعات والأشياء معقدة وغير واضحة صعب إدراكتها ونجد أيضا **قانون المصير المشترك** مفاده أن الأشياء التي تقع في العالم الخارجي مرتبطة بشروط محددة إذا تمكن الإنسان من معرفتها يستطيع التبؤ بها فكل شيء يقول إلى نتيجة معينة فمثلاً ندرك أن الطفل إذا ما وضع يده على النار فسوف يحترق لذلك تجدها نصرفة عنها متى رأيناها يتوجه نحوها ، وفي أهمية هذه العوامل يقول بول غيوم : ((إن الواقع النفسي صور أي وحدات عضوية تنفرد وتتحدد في المجال المكاني والزمني للإدراك و تخضع الصور بالنسبة للإدراك لمجموعة من العوامل موضوعية))

مما يعني أن الإدراك يعود إلى قوانين موضوعية

النقد : صحيح أنه لا يمكن إنكار دور الموضوع المدرك في عملية الإدراك بحكم أنه يتضمن عوامل تسير عملية الإدراك لكن ذلك لا يفسر أن الإدراك عملية موضوعية خالصة مستقلة عن نشاط الذات فلو كان الإدراك ذو طابع موضوعي محض وكانت إدراكات الناس لموضوع واحد متطابقة إلا أن الواقع يثبت عكس ذلك ويؤكد أن الإدراكات تختلف من شخص إلى آخر تبعاً لاختلاف العوامل الذاتية ثم إن العالم الخارجي ليس أوضح كل الوضوح إلى درجة يلغى دور الذات فلو لم نفسر ونقول ونعتمد على الخبرة السابقة لما أدركنا الأشياء على حقيقتها كما أن الإلحاح على أهمية العوامل الموضوعية في الإدراك وإهمال العوامل الذاتية لا سيما دور العقل يجعل من الشخص المدرك آلة تصوير أو مجرد جهاز يستقبال فقط ما دامت الموضوعات هي التي تفرض نفسها عليه سواء أراد ذلك أم لم يرد مما يجعل منه في النهاية مجرد متلقٍ سلبي منفعته لا فاعل

2 - عرض نقيض الأطروحة : وعلى خلاف الموقف الأول يعتقد أنصار المذهب الحسي (التجريبي) و في مقدمتهم جون لوك ، دافيد هيوم و جون ستوارت ميل بأن إدراك الإنسان للأشياء يتوقف على التجربة و الإحساس و ليس على نظام الأشياء

و يستند أنصار هذا الاتجاه في تبرير موقفهم على الحجج التالية :

الحججة الأولى : إن الفلسفة الحسيون قد ميزوا بين الإحساس والإدراك بالنظر إلى درجة و شدة التعقيد فيما فالعقل عندهم ملكة تابعة للإحساس عاجزة عن إنشاء أفكار ذاتية خاصة بل إنه (العقل) ليس أكثر من مستودع للخبرات و الصور الحسية و منه فكل المدركات العقلية ما هي في الحقيقة سوى خبرات حسية تحصلنا عليها شيئاً فشيئاً فنتيجتها إنطباع صور المحسوسات

الحججة الثانية : كما يؤكدون أن الإحساس هو مصدر جميع معارفنا فالمعرفه الإدراكية في تصورهم هي نتيجة تالفة جميع الإحساسات و معنى ذلك أن المعرفة المتحصلة تنتج عن تالفة بين الإحساس و الإحساس المركب (و الذي يكون شعوراً أو إنطباعاً أو إدراكاً حسياً) فالمعرفه الإنسانية متولدة من التجربة و الخبرة فالعقل البشري صفة بيضاء و التجربة هي التي تخطط عليه ما تشاء يقول لوك في هذا :

((لنفرض أن العقل صفة بيضاء حالياً من جميع الصفات فكيف يمكن أن يكتسب الإنسان ذلك ؟ إنني أجب باختصار من التجربة)) و عليه فلا شيء في الذهن إلا سبق وجوده في الحس يقول لوك :

((إن ما في الذهن إنعكاس لما في الأعيان)) فكل معرفة أصلها حسي و بالتالي لا وجود لمبادئ فطرية و أفكار قبلية في العقل لأن كل المعرفات بعديمة تكتسب بالتجربة الحسية يقول لوك :

((لو كان الناس يولدون و في عقولهم أفكار فطرية لتساواوا في المعرفة)) كما يعتبر الإحساس أساس كل معرفة و هذا ما يعكسه قوله الشهير : ((لو سالت الإنسان متى بدأ

يعرف لأجاييك متى بدأ يحس)) إذ أن كل المكتسبات المعرفية مصدرها التجربة و الخبرة لهذا فمن فقد حسا فقد معرفة كما قالها أرسسطو قديماً و هيوم حديثاً

فالحواس هي وسيلة اتصال الفرد بالعالم الخارجي أما العقل و ما ينطوي عليه فهو إنعكاس للمعطيات التجريدية يقول لوك في هذا : ((الحواس و المدركات هما

النافذتان اللتان ينفذ منها الصواع إلى الغرفة المظلمة (العقل)) و معنى ذلك أن الخبرة الحسية هي مصدر كل معارفنا إلى العالم الخارجي و بالتالي فكل

المعرفات عند الحسينين بعديمة مكتسبة بالتجربة الحسية و على هذا الأساس

يكون الإحساس هو مصدر المعرفة و المتحكم في المدركات و الموجه لها و من ثم التمييز بين الإحساس و الإدراك و جعل الإحساس أعلى مرتبة من الإدراك الإحساس هو مصدر المعرفة و المتحكم في المدركات و الموجه لها و من ثم التمييز بين الإحساس و الإدراك و جعل الإحساس أعلى مرتبة من الإدراك النقـ : إن أنصار المذهب الحسي قد بالغوا كثيرا حينما جعلوا الإحساس هو الأساس الوحيد لكل معرفة إنسانية فالإدراك ليس مجرد تجميع للأحساس كما المعرفة الحسية في مجملها ساذجة و توقع في الخداع و الخطأ و هذا ما أكدته ليكارت بقوله : ((كل ما تتفق عليه حتى الآن على أنه أصدق الأشياء و أوثقها قد تعطمه عن طريق الحواس غير أثني اختبرت أحيانا هذه الحواس فوجئت بها خادعة و أنه من الحق أن لا نطمئن أبدا إلى من خدعونا ولو مرة)) كما أنها إذا أخذنا بهذا الموقف فكيف نفسر بعض المفاهيم كمفهوم الكتاب الذي يتصوره العقل خالصا من صفاتـ الثانية المتغيرة ، في الواقع كل كتاب له : شكل ، لون ، حجم ، أما من حيث تصور الكتاب في العقل هو مرجع للمعرفة ، فهذه الصورة يدركها العقل دون أن تمر على الحواس

التركيب : الحقيقة أن الحديث عن الصورة أو الشكل كما فعل الجشطلـ هو إهمال دور العقل كما أن الموقف التجـيبي هو الآخر لا يحل مشكلة الإدراك لأن التركيز علىـ الحواس هو تركيز على جزء من الشخصية و عليه فإن الإدراك عملية متداخلة و متكاملة تتم بتضافـرـ الكثـيرـ منـ العـوـاـمـ الـذـاتـيـةـ معـ العـوـاـمـ الـمـوـضـوـعـيـةـ فـهـنـاكـ شـروـطـ مـتـعـلـقـةـ بـالـذـاتـ الـمـدـرـكـةـ مـمـثـلـةـ فـيـ الـحـالـةـ العـقـلـيـةـ وـ النـفـسـيـةـ وـ الـجـسـمـيـةــ إـلـخـ وـ أـخـرـىـ مـوـضـوـعـيـةـ تـتـعـلـقـ بـالـمـوـضـوـعـ المـدـرـكـ وـ شـروـطـ الـخـارـجـيـةـ التـيـ يـجـبـ أـنـ تـتـوـفـرـ حـتـىـ يـتـمـكـنـ الـفـرـدـ مـنـ إـدـرـاكـ الـأـشـيـاءـ عـلـىـ حـقـيقـتـهـ وـ مـعـرـفـةـ الـعـالـمـ الـخـارـجـيـ بشـكـلـ كـامـلـ لـأـنـ الـوـاقـعـ يـثـبـتـ التـلاـحـ وـ التـزاـوجـ الـواـضـحـ بـيـنـ الـذـاتـ وـ الـمـوـضـوـعـ فـالـذـاتـ الـمـدـرـكـةـ تـرـتـبـ الـمـعـارـفـ وـ تـنـظـمـهـاـ وـ تـحلـلـهـاـ وـ الـمـوـضـوـعـ الـخـارـجـيـ بشـكـلـ وـ بـنـاؤـهـ الـعـامـ يـؤـثـرـ وـ يـتـحـكـمـ فـيـ الـعـلـيـةـ الـإـدـرـاكـيـةـ وـ عـلـيـهـ فـالـعـلـاقـةـ بـيـنـ هـذـهـ الـعـوـاـمـلـ هـيـ عـلـاقـةـ اـنـسـجـامـ وـ تـكـامـلـ

الرأـيـ الشـخـصـيـ : وـ آـنـاـ بـدـورـيـ أـرـىـ أنـ إـدـرـاكـ ماـ هـوـ إـلاـ مـحـصـلـةـ لـمـجـمـوـعـةـ مـنـ الـعـوـاـمـ الـذـاتـيـةـ وـ الـمـوـضـوـعـيـةـ فـلـكـلـ مـنـهـمـ نـصـيبـ فـيـ تـحـدـيدـ إـدـرـاكـاتـاـ فـالـفـرـدـ باـعـتـبارـهـ ذـاتـ فـانـهـ يـتأـثـرـ بـحـالـتـهـ الـنـفـسـيـةـ مـنـ فـرـحـ وـ حـزـنـ وـ تـفـاوـلـ وـ تـشاـوـمـ كـمـاـ يـتأـثـرـ بـحـالـتـهـ الـفـيـزـيـوـلـوـجـيـةـ مـنـ صـحةـ وـ مـرـضـ كـمـاـ يـتأـثـرـ بـمـكـاتـهـ وـ خـصـائـصـ الـعـقـلـيـةـ مـنـ إـنـتـبـاهـ وـ تـركـيزـ وـ شـرـودـ لـلـذـهـنـ وـ نـكـاءـ وـ غـبـاءـ وـ إـمـتـلاـكـهـ لـلـتـجـارـبـ وـ الـخـبـرـاتـ السـابـقةـ مـنـ عـدـمـهـ وـ يـتأـثـرـ أـيـضاـ بـمـسـتـوـاهـ الـثـقـافـيـ وـ الـتـعـلـيمـيـ مـنـ تـعـلـمـ وـ تـنـقـفـ وـ جـهـلـ وـ أـمـيـةـ كـمـاـ يـتأـثـرـ بـسـنـهـ بـيـنـ الرـشـدـ وـ الصـباـ بـالـاضـافـةـ إـلـىـ وـجـودـ إـهـتمـامـ وـمـيـلـ وـ رـغـبةـ لـدـيـهـ مـنـ عـدـمـهـ كـمـاـ أـنـ لـلـتـعـودـ وـ التـوقـعـ أـثـرـهـماـ كـذـلـكـ عـلـيـهـ وـكـذـلـكـ يـتأـثـرـ بـمـاـ يـشـعـرـ بـهـ

و نفس الشيء ينطبق على العوامل الموضوعية فهي تسهل للذات إدراك الموقف
الخارجي

الخاتمة (حل المشكلة) : وبناءاً على ما سبق نستنتج أن الإدراك لا يرتبط
بالعوامل الذاتية المتمثلة في الحواس ولا العوامل الموضوعية المتمثلة الصورة أو
الشكل و إنما الإدراك عملية معقدة ومركبة تعود أساساً إلى تفاعل بين العوامل
الذاتية والعوامل الموضوعية فمن جهة يتكامل العقل مع التجربة الحسية كما قال
كانت و من جهة أخرى يتكامل الشعور مع بنية الأشياء و بالتالي فالإدراك عملية لا
يمكن تفسيرها بالذات المدركة فقط و إنما أيضاً بالموضوع المدرك والشروط
المتحكمة فيه فرغم الجدل القائم حول عوامل الإدراك وطبيعته إلا أن الإنسان ومن
خلال الإدراك أوجد طرقاً للتكييف مع محیطه وبني جنسه

dirassatidz.com

 **@dirassati1**